من القصص الرمزى

زوجا غرام ...

للقصصى الرائع الكبير « أندرسن »

بقلم الأديب كمال الحريرى

كانتا جارتين أليفتين فى علبة من علب لعب الأطفال : دوامة وكرة . فقالت الدوامة لصاحبتها الكرة ذات يوم :

— لم لا نكون خطيبين محبين ما دام علينا أن نمضى حياتنا فى مكان واحد ؟

ولكن الكرة التى خلعوا عليها ثوباً رائعاً قشيباً من الحرير المتموج الخالص ، لم تكلف نفسها عناء إجابة صاحبتها الدوامة

وفى الغد ارتأى الطفل الذى تخصه هذه اللعب أن يصبغ الدوامة بلونين من حمرة وصفرة ، فما كانت الدوامة تدور على بلاط الدار إلا تموجت ألوانها أبدع تموج وأخذه للبصر . حينئذ قالت لجارتها الكرة :

— انظرى إلىّ الآن ما عساك قائلة فىّ ؟ ألا نعقد خطبتنا ونتزوج ؟ أنت تقفزين وتنطين وأنا أرقص وأدو . ومن يستطيع لمعرى أن يسعد أكثر منا ؟ قالت الكرة فى صلف :

— يا للحمقاء أتظنين ذلك ؟ إذاً فأنت تجهلين ياصاحبتى المسكينة أن والدى كانا سليلى نعمة ولا بسى دمقس وحرير ؟ وأنى لست من الأكر العادية المبتذلة وإنما أصلى ينحدر من بلاد أسبانيا . قالت الدوامة :

— هذا حسن ولكن لا تنسى أنى أنا أيضاً أمريكية الأصل لأنى مخروطة من فاخر شجر « الكابلى » الأحمر البديع ، وأن مبدعى إن هو إلا عمدة المدينة بنفسه ، وهو فى ساعات لهوه وفراغه يتسلى بتدوير لعب عديدة ذات حركات ورقصات مختلفة ولكن أنا وحدى الأثيرة لديه

قالت الكرة وقد قلت من كبريائها :

— أحقا ما تقولينه ؟ أجابت الدوامة :

— لأحرم من استقبال أدنى ضربة من ضربات السوط ولأتمرغ عن أى خيط يلف حول جسمى للدوران والفتل ، إن كنت كاذبة أو مدعية . قالت الكرة :

— إنك لحاذقة فى تثمين نفسك ورفع شأنك ولكن الخطبة التى تعرضينها على مستحيلة : ذلك مخطوبة لطير « السنونو » وفى كل مرة أحلق فيها فى الهواء يبرز لى « السنونو » رأسه الجميل خارج عشه ، ويظهر لى كثيراً من الشوق والميل . وأنا منذ ذلك الحين عقدت النية على أن أمنحه يدى . وعلى هذا فنحن الآن نصفا خطيبين ، ولذلك لا أستطيع الإصغاء إلى حديث خطبتك لى ، ولكنى برغم هذا أرانى متأثرة بنبل عاطفتك وأعدك أنى لن أنسى أبداً ما أبديته نحوى من ميل ومحبة . فتنهدت الدوامة حزينة وقالت :

— هذا بعض شىء من الكرم واللطف ولا شك ، ولكنه ويا للأسف لن يكفى لتهدئة هيامى أو لتعزية آلامى . وكان هذا الحوار بين الكرة والدوامة آخر حوار تبادلتاه

وفى الغد تناول الصبى الكرة وأطلقها فى الهواء فطارت مثل عصفور رشيق ، وغابت عن نظر الدوامة لحظة ثم رجعت إلى الأرض كى تعلو فى الهواء ثانية وفى كل مرة تمس فيها الأرض كانت تتراقص تراقصاً رشيقاً يدنيها من عش السنونو ، وفى القفزة التاسعة اختفت الكرة عن عين الصبى فلم ير لها أثراً

فتش الصبي وبحث في كل محل وموضع ولكن لا أثر لها ولا عين. لقد توارت عن العيون. وأرسلت الدوامة تنهدة حارة واجدة فقالت :

— إني لأعرف أين هي الآن هي في عش السنونو عشيقها الأثير ، إنهما خطيبان عاشقان

وكانت الدوامة تشعر نحو الكرة بحب عنيف وشوق هزاز بعد اختفائها وتواريها عنها

أن تكون الكرة الحبيبة خطيبة هانئة وزوجة سعيدة لطير السنونو — ذلك ما كان يرمض حشاها ويضاعف أساها ، ومع هذا فقد استأنفت الدوامة بعد هذا الفراق والبعد حياة الرقص والدوران ولكن كانت دائمة التفكر والتذكر للكرة الراحلة التي كانت تحتل من مملكة خيالها شيئاً فشيئاً مركزاً قدسياً ممتازاً من السحر والجمال ثم تحول هذا الحنين إلى الكرة مع الزمن إلى وجد دفين وهوى مبرح

لم تكن الدوامة في ميعة صباها؛ غير أنهم في ذات يوم لونوها بنقوش بديعة وزخارف مذهبة وفضية وحمراء وصفراء وخضراء وزرقاء، فبدت في حلة موّاجة الألوان لم ترتدها في عمرها : تمتع العين بالبريق الألق وتطرب الأذن بالخرخزة الموسيقية ولكن آه ... لو استطاعت عين الكرة النازحة أن تتملى الآن من بريقها وزخرفها. إذن لتيمها حبها وفتنها محاسنها

وذات يوم بينما الدوامة في دورة من دوراتها الراقصة ، عثرت بحصاة في رقصها أقفزتها إلى بعيد فأغمي عليها هناك وانطرحت دون أن تراها عين أو يواسيها أحد. فتشواعنها في كل موطن ونقبوا في كل مكان، حتى يئسوا من وجودها ولم يعثروا عليها، وإذاً فأين هي ؟ ... هي مع الأسف في علبة القمامة بين أكداس التراب القذر والأوساخ العفنة

قالت الدوامة في حسرة : والهفتاه على ألواني الزاهية وأصباغي اللماعة ، أو قدّر عليّ أن أقضي العمر سجينة في هذه القمامة الوبيئة المنتنة ؟

ونظرت الدوّامة فيما حولها فأبصرت بالقرب منها فضلات من خضار « السلاطة » ثم شاهدت شيئاً مدوراً صغيراً حسبته تفاحة فاسدة . ولقد كان ما رأته كرة هرمة أمضت سنواتها الأولى في رطوبة البالوعة القذر ومائها النتن ثم انتقلت منها إلى علبة القمامة. فكان مجرد لمسها يقزز النفس ويلوث اليدين بالوباءة والقذر . قالت هذه الكرة الهرمة الكريهة وقد أبصرت الدوامة الذهبية بقربها :

— حمداً لك يا ربي فقد منت عليّ بأخت من جنسي وطرازي أستطيع معها أن أستطيب الحديث الحلو منذ الآن . ثم التفتت إلى الدوامة فقالت :

— لا تنظري الآن إلى رثاثة حالي وكراهة منظري . فقد كنت كرة رائعة الحسن ، انحدرت من سلالة الأكر الإسبانية الممتازة بالرشاقة والأناقة ودلّ الرقص الحار ؛ ولكن صبياً طائشاً هو الذي لوث أديمي حين ألقاني من يده الرعناء في البالوعة . ولقد كنت سابقاً على وشك أن أتزوج فرخاً جميلاً من فراخ السنونو حين ألقتني يده في هذا المكان الذي لبثت فيه ، وفي البالوعة قبله خمس سنين . فوالهفتاه على جمالي الذاهب ورشاقتي الضائعة . لشد ما نفخت جسمي البديع النحيف رطوبة البالوعة فشوهت جسمي الجميل وصيرتني صورة للدمامة والقذارة !

لم تقل الدوامة كلمة لأن ذكرى غرامها القديم كانت تتمثل أمام ذهنها . يا للعجب ! هل كانت تتوقع أن يكون هذا المصير المخجل الكريه مصير تلك الكرة الفخورة المتكبرة التي كانت تجن لها بين ضلوعها أحر الهيام وأصدق الوجد في عهود شبابها الغرير المرح !

وأقبلت الخادم فتناولت صندوق القمامة وألقت محتوياته في الشارع . وحين أبصرت الدوامة بين القذر حملتها إلى الأطفال كي يلعبوا بها من جديد . أما الكرة الهرمة الكريهة فقد ظلت في كفن من قذر ووسخ الشارع ...

كمال الحريري